٢ - الدوق دى لاروشفوكو

La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

أطاع الملكة مكرها ، ثم عاد إلى (فرتى) ينتظر تغير الحال ليحقق آماله الكثيرة . ومات ريشليو فى عام ١٦٤٢ ، فحفز لاروشفوكو للمطالبة بثمن عطفه على الملكة ومساعدته إياها . وزعم أنه كان يكره هذا الوزير الذى كسر شوكة النبلاء ، فانه أنصفه فى مذكراته فقال : « فجعت الدولة فى هذا السياسى الكبير . كان عظيما فى مقاصده ، ماهراً فى إنفاذ خططه ، وقد ضمن بأعماله المجيدة الخلود لذكره »

هذا الشاب الخيالى الذى عرف ريشليو كيف يكبح جماحه دون أن يقسو عليه ، أصبح أيام الوصاية على العرش يسعى وراء مصلحته الذاتية ليس غير .

الرجل الطموح

لما مات لويس الثالث عشر وأقيمت زوجه آن دوتريش وصية على ابنها لويس الرابع عشر ، فرح الملتفون حولها وتطلعت نفوسهم إلى تحقيق مطامعهم على يديها . ورأت هى منهم ذلك فجادت عليهم بالوعود وتركتهم فى آمالهم ينعمون ، ثم وضعت أزمة الدولة فى يد الكاردنيال ما زاران صنيعة ريشليو عدو النبلاء والعظاميين ولم تأبه لرغبات لاروشفوكو الذى أظهر الوفاء لها فى ظروف كثيرة ، وهو يقول فى مذكراته عن ذلك : « قضيت عشرة أعوام فى خدمتها ، وخاطرت بثروتى وحريتى فى سبيل راحتها وحريتها حتى قيل عنى إنى شهيدها . وكثيراً ما قالت لى إنها لا تجد فى البلاد ما تكافئنى به على ما قدمت من معروف » . ولكنها لما ملكت زمام الحكم نسيت قولها تمام النسيان

ولما يئس النبلاء من وعودها ، كونوا فيما بينهم جمعية سرية ترمى الى القضاء على سلطان الوزير مازاران واختاروا الدوق دى بوفور رئيسا لهم . وانضم اليهم لاروشفوكو اسما دون أن يوافق على سلوكهم وخطتهم ، وأصبح البلاط حزبين : حزب الوزير وحزب الدوق دى بوفور . ولأجل اكتساب عضد الملكة الوصية على العرش ، تقدمت الجمعية الى لاروشفوكو أن يرجو من الملكة إصدار العفو عن صديقتها الدوقة دى شفريز حتى تعود الى البلاد ، فاطاع لاروشفوكو وما زال بالملكة حتى أجابت سؤله وأمرته بالذهاب إليها حاملا هذا الخبر السار ، ففرح وقال فى نفسه « أجابت هذا الطلب ، وستجيب دون شك مطالبى الأخرى »

أسرع الى مقر الدوقة وأدلى اليها بما حدث فى البلاط أثناء غيبتها ، ورجا منها أن تصبر على مازاران ، فان أرضى رغباتهما وحقق آمالهما تركته وشأنه ، وان أبى عليهما ما يطلبان شاكسته

ولكنها لم تكد تطأ أرض باريس حتى نسيت قول لاروشفوكو وحاولت عزل الوزير وإحلال أحد رجالها المسمى شاتونيف محله ، وجهرت برغبتها فى رد القوة إلى الأمراء العظيمة التى تحبذ آراءها وترضى عن خططها . وقبل أن تقدم على عمل جدى ، افتضح أمر الجمعية وألقى القبض على رئيسها فى ٢ سبتمبر عام ١٦٤٣ وحبس فى فنسين ، وأمرت الدوقة بالاقامة فى تور . أما لاروشفوكو فلم يمس بسوء ، وكل ما أصابه فى هذه الحادثة أن الملكة أمرت بأن يعرض عن الدوقة ويخلص للوزير . ولكنه لم يذعن لأمرها ولم يحن من وراء ذلك نفعا

واستمر فى البلاط إلى عام ١٦٤٦ كئيب النفس وسط مسرات البطانة ومرحها ، وسعى سعى المجد إلى الحصول على إحدى الرتب العسكرية التى رفض قبولها من ريشليو ، ولكن سعيه لم يصب غير الفشل . فدفعه اليأس من بلوغ مقاصده إلى الاتصال بالدوقة دى لونجفيل التى تضمر العداوة للملكة . وهذه

المصور — ولكن هذا المسافر المتنقل لن يتذوق طعوم اللذات .

الشاعر — كفى ! لقد اعترفت بأن فى الدنيا لذات . . .

وبدا للمصور فنهض من مكانه الى درج رسومه يلتمس منه كتابا مخطوطا باليا ثم عاد وقال : أما المناقشة على هذا النحو فلن تفيد أبداً . لقد بسطت لك رأيى ولكنك تأبى الا الزواج ، فهذا كتاب خطته يد متزوج سعيد لا يس أسرار الفنانين ودرس ما يكابدون من أسقام ، ثم صور ذلك تصويرا طريفاً دقيقاً ، ولم يطبعه بعد ، فاقرأه بأمعان فهو رادك بلا ريب الى جادة الصواب . . . »

عن (أزواج الفنانين) بتصرف

محمد روحى فيصل

الدوقة كانت شديدة الكبرياء مولعة بالمجون والاستهتار ، وقيل إنها أحبت أخاها الدوق رانجان حبا فيه إثم كبير ، وإنها كانت ترى فى هذا الحب البغيض طريقة تميزها من « القطيع الانسانى » . ولم يحبها لاروشفوكو ، بل تصل بها وأظهر كلفه بها ليستخدمها فى سبيل اغراضه . وهو لم يعرف الهوى المحرق كما تقول مدام دى سفنيه (١) وقد سمعه سجريه (٢) يقول : « لم أعثر بالحب إلا فى القصص الخيالية » .

وفى أغسطس عام ١٦٤٨ ، قامت ثورة فى باريس تعرف فى تاريخ فرنسا باسم La Fronde (ومعناها لغة : البلة التى يستعملها الصغار عندنا فى صيد العصفور ، وكانت شائعة فى فرنسا وقت قيام هذه الثورة فسميت باسم هذه اللعبة) ، ثم امتد الاضطراب إلى الريف ، وأشعل الفلاحون فى (بواتو) نار الشغب . وكان لاروشفوكو قد حصل على حكمها بفضل مكانة أبيه ، فقمع هذا الشغب قبل أن يستفحل ، ونال بعمله هذا إعجاب الوزير مازاران . ولكنه كان يسعى الى شىء آخر غير الاعجاب بعمله ، كان يرغب فى الحصول على لقب دوقة لزوجه وعلى الاذن له بدخول فناء قصر اللوفر فى عربة كآل روهان (وهم من سلالة ملوك بريتانيا) فلما خيب الوزير أمله ، انضم فى الحال إلى الثائرين على الرغم من رأى والده واسرته ، وأسرع إلى باريس لمقابلة الدوقة دى لونجفيل التى أعدت خطة لاضرام نار حرب أهلية . وقد حاولت أن تضم إليها أخاها الدوق رانجان الذى أصبح أمير كونديه بعد موت ابيه فى عام ١٦٤٦ ، ولكنها أخفقت لأن الملكة غمرته بالنعم الجزيلة ثمنا لمساعدته إياها

أخذ كونديه بعضد الملكة وأنقذ البلاط من الثائرين وأصبح صاحب الكلمة النافذة فيه ، فألحف فى طلب المال لنفسه والمزايا لأصدقائه ومن بينهم لاروشفوكو . وأجابه مازاران إلى ماطلب ولكن البلاء تقدموا إلى الملكة أن تلغى هذه المزايا فألغتها فى ١٠ اكتوبر عام ١٦٤٩ . وفى ذلك اليوم كتب لاروشفوكو فى كراسة يذم الوزير ويسخط عليه لأنه « قاوم طموحه مقاومة عنيفة » . وجملته الأخيرة تدل على روح البلاء فى ذلك العصر ، وبقيت هذه الكراسة مجهولة من الناس حتى عثر بها فكتور كوزان (١) فى أوراق كونررا (٢) ونشرها

ولما ضاق الوزير ذرعا بكونديه استعمل الخديعة حتى ألقى عليه القبض هو والدوق دى لونجفيل وقيد حريتهما فى الهافر ، وخافت الدوقة دى لونجفيل أن تصير إلى ماصار إليه زوجها فهربت إلى هو لانده بمساعدة لاروشفوكو

وفى ٥ فبراير ١٦٥٠ مات والد لاروشفوكو ، فاتخذ من إقامة المأتم ذريعة إلى جمع كثير من البلاء والفلاحين والجياد (٧٠٠ نبيل ، ٨٠٠ فلاح ، ٢٠٠٠ جواد خطبهم واستوقد حماستهم لمحاربة جنود الملك . ولكن هؤلاء قهروا رجاله وأهلكوا زرعه ودمروا قصره فى (فرتى) . ويقول أحد أصدقائه أن لا روشفوكو لما بلغه خبر الدمار الذى أصاب القصر الناطق بعظمة أجداده ، اعتقد أن الدوقة دى لونجفيل ستقدر له هذه التضحية فى سبيلها حق قدرها ، وبعث هذا الاعتقاد فى نفسه سرورا كبيرا . وقبل انقضاء شهر فبراير هدأت الحال وأطلق سراح كونديه ومن معه ، وغادر ما زاران البلاد حتى تسكن العاصفة

استرد كونديه حريته ولكنه أضمر الشر للوزير والملكة . ولما بلغ لويس الرابع عشر رشده فى ٦ سبتمبر عام ١٦٥١ ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة فخمة : فى قصر اللوفر لم يحضرها كونديه وأعوانه خشية أن تنال الملكة منهم منالا . وعرفت أخته الدوقة دى لونجفيل ميله الى اشعال نار الحرب الاهلية مرة ثانية ، فشجعته حتى سل سيفه فى وجه الملك

يتبع

حسن صادق

---

(١) ١٦٢٦—١٦٩٦ أديبة فرنسية فرحة المزاج عفيفة الازار واشتهرت فى عالم الأدب برسائلها الممتعة وأحاديثها الشائقة . وكانت تعجب بلاروشفوكو وتجلس له الود

(٢) ١٧٩٢ - ١٨٦٧ فيلسوف فرنسى نابه الذكر . كان أستاذا للفلسفة فى مدرسة المعلمين ثم فى كلية الآداب بجامعة باريس . ووجه عناية خاصة لدرس الفلسفة الالمانية وقامت بينه وبين هجل وشلنج صلات المودة . ونشر كتب ديكارت (١ مجلد فى ١٨٢٦) ونقل الى الفرنسية كتب افلاطون وشرحها (١٣ مجلد ١٨٣٣) وهو زعيم مذهب فلسفى يسمى المذهب النقاد الذى يقصد به إلى مزج آراء ديكارت بآراء كانت والمدرسة الاسكوتية واستخلاص مذهب جديد من هذا المزيج . ولكن هذا المذهب مات مع صاحبه . وقد ترك مؤلفات قيمة فى الفلسفة وتاريخها

(١) ١٦٠٣ - ١٦٧٥ . أديب فرنسى بروتستانتى المذهب كان يجيد الايطالية والاسبانية . ومن صالونه الادبى ولدت فكرة الاكاديمى فرانسيز ولما أنشئت عين كاتم سر دائما لها . قضى حياته فى القراءة وكتابة مسودات . وعند موته ترك منها ما يملأ أربعين مجلدا حفظت كلها فى مكتبة الأرسينال

(٢) ١٦٢٥ — ١٧٠١ شاعر فرنسى رقيق العاطفة دقيق الحس ومؤلف مسرحى كثير التوفيق . وقد ظهرت له أول قصة تمثيلية (هيبوليت) وهو فى التاسعة عشرة من عمره . وفى عام ١٦٦٢ انتخب عضوا فى مجمع العلماء ، ونقل إلياذة ڤرجيليوس الشاعر الرومانى الاكبر الى اللغة الفرنسية شعرا . وكان من اصدقاء لاروشفوكو الذين لازموه فى شيخوخته